في حدائق العرب

الاحنف

هو ابو بحر الضحاك بن قيس التميمي الأحنف . وكان قد شهد مع عليّ بن ابي طالب وقعةَ بصفّين .. فلما استقرّ الأمر لمعاوية دخل عليه الاحنف يوماً فقال له معاوية : « والله يا أحنف ، ما اذكرُ يومَ صفين إلاّ كانت حزازةٌ في قلبي الى يوم القيامة » .

فقال له الاحنف: « والله يا معاوية ، إنَّ القلوب التي ابغضناكَ بها لفي صدورنا. وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمادها . وان تدنُ من الحرب فترا ندنُ منك شبرا . وان تمش الينا نهرولْ اليك »

ثمَّ قام وخرج

وكانت أختُ معاوية من وراء حجابٍ تسمع كلامهُ . فقالت : « يا اميرَ المؤمنين من هذا الذي يتهدّد ويتوعدُ. » فقال : « هذا الذي اذا غضب غضب لغضبهِ مئة الف من بني تميم ولا يدرون لما غضب . »

واخبر النويريُّ عنه قال : كان معاوية قد كتب الى عماله ان يوفدوا اليه الوفود من الامصار . فكان فيمن اتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة ، والاحنف بن قيس في وفد أهلِ البصرة . ثم ان معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري :

« لما تجتمع الوفود إني متكلمٌ فاذا سكتُّ ، فكن انت الذي تدعو الى بيعة يزيد (ولد معاوية) وتحضُّ عليها . فلما جلس معاوية للناس ، تكلم فعظم امرَ الاسلام وحرمة الخلافة وحقها ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال الضحاك : « يا امير المؤمنين ، انه لابدَّ للناس من والٍ بعدك فذلك احقن للدماء ، واصلح للدهماء ،

وآمن للسبيل ، وخيرٌ في العاقبة . والايام عوجٌ كل يوم في شأن . ويزيد ابن امير المؤمنين في حسن هديهِ . وهو من افضلنا علماً وحلماً ، وابعدنا رأياً . فخوّلهُ عهدك واجعله لنا علماً بعدك ومفزعاً نلجأ اليه ونسكن الى ظلهِ . »

وتكلم عمرو بن سعيد الاشدق بنحو من ذلك . ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال : « هذا امير المؤمنين (واشار الى معاوية) فان هلك فهذا (واشار الى يزيد) ومن أبى فهذا (واشار الى سيفهِ)

فقال معاوية : « اجلس فانت سيد الخطباء » فاذعن من حضر من الوفود .

فقال معاوية للاحنف : « ما تقول يا أبا بحر . »

فقال الاحنف : « نخافكم ان صدقنا ، ونخاف الله إن كذبنا . وانت يا اميرَ المؤمنين اعلم بيزيد في ليلهِ ونهاره ، وسرهِ وعلانيته ، ومدخلهِ ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى ولهذه الامة رضيً ، فلا تشاورْ فيه . وان كنتَ تعلمُ منه غير ذلك ، فانت صائرٌ الى الآخرة ، وانما علينا ان نقول سمعنا وأطعنا . »

ومن اقوال الاحنف المأثورة :

رب غيظ تجرعتهُ مخافةَ ما هو اشدُّ منه

كثرة المزاح تذهب الهيبة

التودد كرم الاخلاق وحسن الفعل

الداء اللسان البذي والخلق الردي

﴿ السنة الاولى « للزهور » ﴾

في الادارة مجموعة « الزهور » للسنة الأولى مجلدة تجليداً متقناً وثمنها خمسون قرشاً صاغاً . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج

الاب كابون وتولستوي

« او حكيما روسيا »

لقد عرف العالم أجمع تولستوي ومبادئه الفلسفية وقد قرأوا مصنفاته الكثيرة حتى طبق صيته الخافقين ، فلم يبقَ محلٌّ الا وانتشر فيهِ اسم هذا الفيلسوف العظيم ولا مجلة الا وذكرت اسم هذا الحكيم بالاعجاب والتكريم . ولكن قليلون هم الذين يعرفون فيلسوف روسيا الثاني الكاهن العظيم كابون . ولذا أحببت انأنقل لقراء العربية على صفحات « الزهور » ترجمة حياة هذا الكاهن العظيم وشيئاً من مبادئه السامية التي أدهشت العالم باسره وخصوصاً الروس وقد عاش بينهم وتألم لآلامهم ، الامر الذي جعله مكرماً ومحبوباً من الفلاحين البؤساء الذين كانوا يعاملون معاملة قاسية تقشعرّ لهولها الابدان ويندى منها جبين الانسانية خجلاً . واني أنقل هذا عن احدى المجلات الاميركية بقلم احدى سيدات روسيا اللائي لهن القِدح المعلى في فن الانشاء واسمها بريشكوفسكا

قالت : لقد خفي اسم هذا الكاهن العظيم قائد فلاحي روسيا يوم ثار ثائرهم من جرّاء الظلم الذي أصابهم من أصحاب الاملاك . وان ما يعرف من مبادئ هذا الاب الورع المحروم من الكنيسة لتصرفه تصرف مهيج سياسي لهو أقل من القليل . ذلك لانصراف افكار الجمهور للمظاهر الخارجية والثرهات الباطلة . فسداً لهذا النقص وحباً في نشر مبادئه السامية القاضية على الظلم وذويه ، أحببت ان أنشر عنهُ ما يزيد العموم معرفة بهِ :

ان الاب كابون لم يكن ديموقرطياً ولا اشتراكياً فوضوياً ولا حرًّا متطرفاً بل كان للفلاحين كما كان تولستوي للاشراف . كلاهما تولستوي وكابون مؤمن بالقوة المبدعة ، وكلاهما ينظر للعالم نظر الآسف المتحسر . ويعد بذل النفس في سبيل فكر سامٍ شريف ومبـدأ قويم منتهى ما يتطلبه البقاء الانساني

الاب كابون كتولستوي له اعتقاد ثابت في القوة الادبية المودعة في الانسان وفي قوة نفسه الخالدة

« الله والانسان » هما في نظر الفلاح الروسي تقريباً على التوازي وهذا هو السبب في عدم وجود شيء يصعب على الروسي العقلي القيام به . وهذا الاعتقاد يشمل عموم العقليين في البلاد الروسية ولكن معظم هذا الاعتقاد او هذا العلم « علم النفس » يظهر باجلى وضوح في حياة بطلي روسيا في هـذا العصر . وهاتان الطبيعتان (تقعـد بذلك تولستوي وكابون) مع تشابههما تمام التشابه تظهران لتعمـل كل واحدة ما يغاير الاخرى في ذات البيئة والظروف . كلتاهما تطلب راحة الشعب ورفاهيته وكلتاهما تعاكس حكومة القيصر حكومة الفرد المتسلط على الشعب الراضخ . ولكن بينما نرى الفيلسوف تولستوي يحض الناس على نبـذ التباغض وابطال الحروب والرجوع الى الطبيعة فيحفظ كل حقه لذاته ، نرى الاب كابون يحثهم على العمـل والدأب ، ويدعوهم باسم الله الأزل للحياة والعمل ، ويأمرهم بطلب حقوقهم الموهوبة من القوة المبدعة ولو آل ذلك لامتشاق الحسام وخوض غمرات الحرب والصدام . اما النتيجة

التي يرمي اليها هذان الفيلسوفان فواحدة ، وما اختلافهما الاَّ في الطرق المؤدية الى هذه النتيجة . فواحد يحلق في السماء ويتيه في التصورات الجميلة والاحلام الذهبية . والآخر ينزل الى الارض فيضع نفسه بجانب اخوانه التعساء ويبذل النفس والنفيس ليضع حداً لآلامهم المبرحة ويجبر قلوبهم المنكسرة . وهو لا يصبر على هذا الضيم ولا يتوانى في انقاذ اخوانه من الحيف المحدق بهم . ذلك لانهُ يرى العار كل العار في ان ينظر اخوانه في البشرية يرزحون تحت نير العبودية ، فيتألم لآلامهم فقط ولا يرمي الى انتشالهم من وهدة سقوطهم . لذا أبت نفسه الشريفة الا ان تستبيح ما حرمتهُ الحكومة فتثير أفكار الفلاحين عليها ليطالبوا بحقوقهم المهضومة وقد كان يصرخ متألماً « الى السلاح ! الى السلاح ! ايها الشعب التعس . حتى مَ ترضخ للذل ؟ ألست الشعب صاحب النصرات القديمة والمجد الأثيل ؟ فانزع عنك ثوب خمولك فانهُ يحول بينك وبين الحقيقة الساطعة . فارتدِ ثوب الشجاعة لتحفظ مجداً طريفاً وتعيد عزًّا تالداً اودت بهِ ايدي الوحوش الضارية وحوش الانسانية »

اما تولستوي فكان ينادي بأعلى صوته : « تألموا ايها التعساء فان العالم مملوء بالمفاسد ، وان ما يدعونه مدنية وارتقاء لهو الانحطاط بعينه فاصبروا يا من مزّقت افكارهم حجب اللانهاية فعرفت اموراً قصرت عن ادراكها افكار اقرانهم . واحتملوا الآلام ، فانكم بهذا تنالون السعادة وارجعوا الى امكم الطبيعة فانها اكبر مخلص لكم » هذا هو وجه الاختلاف بين هذين الحكيمين وهو ينحصر في الطرق كما ذكرت آنفاً ولا يتناول الغاية

انهُ ليصعب على البعيدين عن روسيا الذين لا يعرفون من شؤونها غير ما يقرأون في المجلات والجرائد السياسية ان يتصوروا حالة الفلاّح الروسي من حيث مذلتـهِ وانحطاطهِ وتألمهِ وصبره وقوتهِ العظيمة . لذا أحب ان أظهر من أمرهم ما اختفى ومن أفكارهم ومبادئهم ما توصلت اليهِ

ان حالة الفلاح الروسي من حيث ذله وتألمه قد علمها القاصي والداني مما تنشره الصحف لذا اصبح الكلام عليها من قبيل تحصيل الحاصل . اما اعتقاده ومبادئه فاراني مضطرة الى ذكرها لانها لم تزل مجهولة بسبب الضغط الشديد وتقييد الصحافة . يقول فلاحو روسيا بان «العدل» (الله) يقضي على الكائنات كلها بالسعادة والسرور دون فارق بين غنيّ وفقير، ويبغي للجميع على السواء الوسائل الآيلة لتعزية قلوبهم . وانه يحظر عليهم عمل الشرّ وظلم بعضهم البعض ، فلا يغتصب احدهم حقّ اخيه ولا يؤذيه في عمله بل يكون له عوناً فيدرأ عنه كل شرّ مفاجئ . وهذا الاعتقاد عام يشمل عموم الفلاحين في بلادنا وهو قديم ولكنه في هذه الايام تجاوز حيز القول الى حيز العمل فصاروا يؤيدونه بالفعل . وقد توسعوا به حتى قالوا «ان الهاً صالحاً برّاً حكيماً خلق الانسان من العدم وخلق له الارض ليعيش فيها آمناً . وما وجدت هـذه السهول الواسعة والرياض الجميلة والاحراج والانهار الاّ ليتمتع بها كل فرد فيعمل في السهول على قدر طاقته فلا يعارضه في عمله معارض ولا يهضم حقه احد » فلهذا لا يرهبون الشغل، بل يصلون اناء الليل بأطراف النهار كادّين ، مبتهجين بمرأى الطبيعة وعندهم رغبة شديدة في معرفة احوالها واظهار مكنوناتها

هذه هي مبادئهم ذكرتها باختصار على امل ان ارى في بلادي كثيرين كالاب كابون يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل انهاض هذا الوطن المحبوب من وهاد المذلة والخمول الى اوج السعادة والرقي ، فنعيش آمنين ونتنشق نسمات الحرية اللطيفة والسلام

حمص　　شكري عاقل

نحن وهم

﴿ في التربية والمرأة ﴾

١ — هم يصحبون تربيـة العقل بتربية الجسم فتصح منهم الاجسام والعقول . ونحن نهمل تربية الجسم فيضعف العقل فلا تصح منا لا العقول ولا الاجسام

٢ — هم أحسنوا تربيـة المرأة فحسنت تربية الرجال . ونحن أهملنا تربية الأم فساءت تربية الاطفال

٣ — هم يخيفون أولادهم بذكر الحقائق . ونحن نخيف أولادنا بالاوهام ، فيشب رجالهم لا يخشون الحقائق التي ألفوها . ويشبّ رجالنا تزعجهم الخيالات

٤ — المرأة عندهم شريكة الرجل يحتاج اليهـا في كل لحظة . والمرأة عندنا رفيقتهُ لا يطلبها إلاَّ وقت الشهوة

٥ — المرأة عندهم محترمة في الطريق ، وعندنا عرضة فيهِ لكل سبٍّ وتضييق

٦ — اجتهدوا في اقتباس الحسن من مدنيتنا . واجتهدنا في تقليد القبيح من مدنيتهم

﴿ في الملاهي والمقابر ﴾

٧ — ملاهيهم لتثقيف العقول . وملاهينا لارضاء الشهوات

٨ — مقابرهم جنات الدنيا ومقابرنا جحيمها

﴿ في العلم والعلماء ﴾

٩ — طالب العلم وطالب المال عندهم لا يشبعان . وعندنا لا يكادان يبلغان طرفاً منهما اذ هما يكتفيان

١٠ — العالِم عندهم يعمل بعلمه . وعندنا يتحدث به

١١ — هم يرون قوى الطبيعة فيفكرون في استخدامها ، ونحن نراها فنعجب بها او نهرب منها

١٢ — علماؤنا اذا استفتيتهم رجعوا الى ذاكرتهم في اجابتك . وعلماؤهم اذا سألتهم حكموا المعقول في افادتك

﴿ في الاقتصاد ﴾

١٣ — أكثرنا ينفق فوق ما يكتسب ، واكثرهم يكتسب فوق ما ينفق

١٤ — يأتون بلادنا ليربحوا فيها . ونقصد بلادهم لننفق فيها

١٥ — هم يجدّون وراء الثروة . ونحن نرى الثروة بجانبنا ولا نكلف انفسنا مد اليد اليها

١٦ — حبس اغنياؤنا الاموال فملكتهم . وأطلق اغنياؤهم الاموال فملكوا بها

١٧ — ترفّع كبيرنا عن الاعمال التجارية والمالية ، فملكه صغيرهم بها

١٨ — لا نملك في بلادهم ، ويملكون في بلادنا . فيستخدموننا في الارض . ونشتري منهم حاصلاتنا

١٩ — فقيرهم اذا احتاج اشتغل ، وفقيرنا اذا احتاج سأل

﴿ في فلسفة الحياة ﴾

٢٠ — عندهم حب الأمة مقدم على حب النفس . وعندنا حب النفس مقدم على حب الأمة

٢١ — الاتحاد عندهم رأس مال الاعمال العظيمة وسرُّ نجاحها ، وعندنا العمل العظيم يوجب التفريق فيهِ حب الاستئثار بهِ فلا يتم ابداً

٢٢ — تتكل الامة فيهم على أفرادها ، ويتكل افرادنا على الامة

٢٣ — اذا اعترض العامل منهم عائقٌ أزاله ، وهذا عمل الرجال . واذا اعترض العامل منا عائق أنّ واشتكى ، وهذا عمل الاطفال

٢٤ — الرجل منا يرجو من المستقبل تحسين حاله . والرجل منهم يعمل على تحسينهِ بنفسهِ

٢٥ — رجلهم يبدأ بنفسهِ قبل الناس ، ورجلنا يبدأ بالناس قبل نفسهِ

٢٦ — حكوماتهم تخدم الامم . وأممنا تخدم الحكومات

٢٧ — هم ينظرون الى مستقبلهم . ونحن ننظر الى ماضينا . لهذا هم تقدموا ونحن تأخرنا ؟

صالح جودت